

ملاح من الاجتهاد المنضبط في فهم الخطاب القرآني^{*}

عبد السلام بن صالح الجار الله^١

ملخص

نزل القرآن الكريم كتاب هداية للناس جميعاً؛ خاتماً لجميع الكتب السماوية، فهو باقٍ إلى قيام الساعة، ولذا فمن طبيعته التي أنزل عليها أن تجد فيه البشرية باختلاف لغاتها وأجناسها وثقافتها الهداية والرشاد، وتنهل من معينه الحلول الناجعة لمشكلاتها العديدة. من هنا جاء القرآن بأسلوب وبيان يتكفل بإيصال تلك الحلول للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة. والدراسة الحالية محاولة لاستجلاء ثلاث قضايا: أولاً، بيان أنه متحدد المعاني، وتقرير ذلك من خلال النصوص الشرعية وأقوال العلماء. وثانيها، التأكيد على ضرورة ضبط الاجتهاد في فهم الخطاب القرآني. وثالثها، بيان صور الاجتهاد المنضبط في فهم القرآن الكريم، وذكر الأمثلة التطبيقية لبعض صور الاجتهاد المنضبط في فهم الخطاب القرآني. مثل: تنزيل الآيات القرآنية على بعض الوقائع الحادثة وبيان أحكامها من خلال القرآن الكريم، أو استنباط معانٍ جديدةٍ لا تتعارض مع الأصول والقواعد الشرعية.

كلمات دالة: تفسير القرآن، الاجتهاد، تجديد التفسير، تدبر القرآن، ضوابط التفسير.

* How to cite this article: Aljarllah, A. S. (2015). "Malāmiḥ min al-Ijtihād al-Munḍabiḥ fī Fahm al-Khitāb al-Qur'ānī", QURANICA Special Issue 7b, 139-164.

^١ أستاذ الدراسات القرآنية المشارك، كلية التربية، قسم الدراسات القرآنية، بجامعة الملك سعود، الرياض، jar1427@gmail.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنَّ هذا البحث يهدف إلى تقرير علمية القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان، ويرد في الوقت ذاته على من زعم نزول القرآن لفئة معينة أو وقت محدود، ورام من وراء ذلك تعطيل نصوص القرآن الكريم وتفريغها من محتواها. كما تظهر أهمية هذا البحث في شدّة الحاجة لإبراز ملامح اجتهاد العلماء المحققين وانضباطهم في فهم الخطاب القرآني في وقت تظهر فيه الدعوات المتفلتة التي تنادي بإعادة قراءة القرآن الكريم قراءةً جديدةً تناسب العصر غير متقيدة بقواعد فن التفسير ولا ملتزمة بضوابطه، ولا تفتأ بعض تلك الدعوات تنادي بفهم الخطاب القرآني وقراءته وفق مناهج فكرية استشراقية، من أمثال المنهج الهرمنيوطيقي الفلسفي النصراني الذي يقوم على تفسير النص الديني النصراني انطلاقاً من معايير وقواعد محددة.

١ - القرآن متجدد المعاني

ثبت بالدليل القطعي ختم الكتب السماوية بالقرآن الكريم، وهذا من لوازم ختم الرسالات السماوية برسالة محمد ع ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠). وترتب على هذا شمولية الخطاب القرآني وعمومه للتقلين جميعاً: إنسهم وجنهم على اختلاف أزمانهم وأماكنهم: ﴿وَأَوْحِي إِلَيْ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ (يس: ٦٩-٧٠)، ومن ضروريات هذه الشمولية القرآنية إتيان القرآن بأسلوب متسع لمعانٍ كثيرة ليستفيد منه الخلف مثلما استفاد منه السلف، وينهل الجميع من معينه الصافي.

وقد يسبق إلى فهم بعض القراء لعنوان المبحث أن معاني القرآن الكريم متغيرة متبدلة في حقيقة الأمر، والحق أن معاني القرآن كامنة فيه، وهي بمثابة الدرر واللائح الكامنة في الأعماق يطالعها الله على

من شاء من عباده، وقد كان عمر س يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ويقول: غص غواص^١، فتحدد معاني القرآن إنما هو بحسب المجتهد وفهمه وليس في نفس الأمر.

وهو لا يعني بالضرورة تغيير معاني القرآن وتبديلها، أو هدم المعاني التي قال بها السلف، أو الانفصال التام عن الماضي، أو إخضاع آيات القرآن الكريم لتطور الأفكار والآراء والمذاهب الجديدة، أو اتخاذ التأويل وسيلة لتبرير كل هوى، وتلبية كل الحاجات، والتمشي مع كل الظروف، ولا مانع لدى مدعي التجديد من مسايرة الآيات القرآنية اليوم وضعاً من الأوضاع تنقضه في الغد القريب أو البعيد^٢. وغاية ما في الأمر ظهور معانٍ جديدة للمجتهد لم تكن ظاهرة له من قبل، أو تنزيل آيات القرآن على وقائع جديدة، مع ضرورة ألا تتعارض هذه المعاني مع أصول الشريعة وقواعدها، وألا تناقض ما فهمه السلف الصالح من القرآن الكريم.

ومن دلائل تجدد القرآن معاني الكريم بهذا المعنى ما يأتي:

أولاً: الحث على تدبر القرآن الكريم، فقد جاءت نصوص عديدة تؤكد أهمية تدبر القرآن الكريم؛ إما بالحث والترغيب المباشر في تدبر القرآن، كقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)، وإما ببيان الغاية من إنزال القرآن كقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩).

قال الغزالي رحمه الله (ت ٥٠٥): "التدبر في قراءته إعادة النظر في الآية والتفهم أن يستوضح من كل آية ما يليق بها كي تتكشف له من الأسرار معانٍ مكنونة لا تتكشف إلا للموفقين"^٣. ومن اللطائف في قول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ أن الله جمع بين تدبر القرآن ووصفه بالبركة، ومن معاني البركة هنا بركة المعاني وكثرتها وتعددتها، فالقرآن "مبارك في حجمه ومحتواه، فإن هو إلا صفحات قلائل ولكنه يحوي من المدلولات والإيجازات والمؤثرات والتوجيهات

^١ فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، ٩٨١/٢.

^٢ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د. محمد شريف ص ١٤٩.

^٣ عزاه في التحرير والتنوير، ٢٩/١ إلى إحياء علوم الدين، وهو بنحوه في إحياء علوم الدين للغزالي، ٢٨٣/١-

في كل فقرة منه ما لا تحتويه عشرات من الكتب الضخام، في أضعاف أضعاف حيزه وحجمه ! وإن الذي مارس فن القول عند نفسه وعند غيره من بني البشر وعالج قضية التعبير بالألفاظ عن المدلولات، ليدرك أكثر مما يدرك الذين لا يزاولون فن القول ولا يعالجون قضايا التعبير، أن هذا النسق القرآني مبارك من هذه الناحية، وأن هنالك استحالة في أن يعبر البشر في مثل هذا الحيز - ولا في أضعاف أضعافه - عن كل ما يحمله التعبير القرآني من مدلولات ومفاهيم وموحيات ومؤثرات !، وأن الآية الواحدة تؤدي من المعاني وتقرر من الحقائق ما يجعل الاستشهاد بها على فنون شتى من أوجه التقرير والتوجيه شيئاً متفرداً لا نظير له في كلام البشر".^١

وهذه المعاني العظيمة في الآيات القصيرة لا يمكن إدراكها والوقوف عليها إلا بتدبر القرآن وطول تأمله. قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣): "والتدبر: التفكير والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشف له معان لم تكن بادية له بادئ النظر".^٢ ويقول: "إنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها، فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي".^٣

وقد يدرك بعض الناس معانٍ كثيرة لبعض الآيات - في مقابل ألفاظها القليلة - ما لا يدركه غيره، ويقف المتأخر على أوجه ومعانٍ جديدة لم يلتفت إليها المتقدم، وهذا وجه من أوجه تجدد معاني القرآن الكريم.

ثانياً: ورد أن القرآن لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد، ففي حديث عبدالله بن مسعود س قال ع: "إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاء لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعيب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد"^٤. وفي حديث علي بن أبي طالب عن النبي (ﷺ) أنه وصف

^١ في ظلال القرآن، ص ١١٤٧ باختصار يسير.

^٢ التحرير والتنوير، ٢٣/٢٥٢.

^٣ التحرير والتنوير، ٩٧/١.

^٤ رواه ابن أبي شيبه في المصنف، ١٠/٤٨٣ برقم، ١٠٠٥٦، والحاكم في المستدرک، ١/٥٥٥.

القرآن بأنه لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه^١. والمراد بعجائبه: معانيه.

قال الشعراوي رحمه الله (ت ١٤١٩): "ولا تنقضي عجائبه، ويقرأ واحد فيفهم منه معنى، ويقرأ آخر فيفهم منه معنى جديداً، وهذا دليل على أن قائله حكيم، وضع في الشيء القليل الفائدة الكثيرة، وهذا هو معنى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾، فكل كتاب له زمن محدود وعصر محدود وأمة محدودة، أما القرآن فهو يواجه من يوم أن أنزله الله إلى أن تقوم الساعة قضايا متجددة يضع لها حلولاً"^٢.
ثالثاً: وردت آثار عن الصحابة والتابعين تدل على إمكانية استنباط معانٍ جديدة من القرآن الكريم، ومن تلك الآثار:

ما ذكره أبو جحيفة رضي الله عنه قال: "قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟، قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن"^٣.
وقد علق ابن القيم (ت ٧٥١) على أثر علي رضي الله عنه بقوله: "الفهم نعمة من الله على عبده، ونور يقذفه الله في قلبه؛ يعرف به ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره مع استوائهما في حفظه، وفهم أصل معناه، فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ومنشور الولاية النبوية، وفيه تفاوتت مراتب العلماء حتى عد ألف بواحد، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وما حُصَّ به ابن عباس من فهمه منها أنها نعي الله سبحانه نبيه إلى نفسه، وإعلامه بحضور أجله، وموافقة عمر له على ذلك، وخفائه عن غيرهما من الصحابة، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سناً، وأين تجد في هذه السورة الإعلام بأجله لولا الفهم

^١ أخرجه الترمذي في سننه، ١١٣/٨، رقم، ٢٩٠٨، وابن أبي شيبة في المصنف، ٤٨٢/١٠، رقم، ١٠٠٥٧، وقال الترمذي: هذا حديث إسناده مجهول، وفي الحارث [الراوي عن علي] مقال.

^٢ تفسير الشعراوي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام ١٥٥].

^٣ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، ٣٠/٤، رقم الحديث، ٣٠٤٧.

الخاص ١!، ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس^١. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين"^٢.

وإثارة القرآن الكريم في قول ابن مسعود تعني البحث والتفتيش الدقيق في القرآن لاستجلاء معانيه وفهمها؛ مأخوذ من قول العرب: أثرت الأرض أثيرها إثارة؛ إذا نشت ترابها، ومن أثرت السيف؛ إذا جلوته^٣. ويقول مسروق بن الأجدع رحمه الله (ت ٦٢): "ما يسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه"^٤. وكل النصوص السابقة تدل بوضوح على إمكانية وقوف بعض الناس على معان القرآن الكريم لا يقف عليها الآخرون.

رابعاً: هناك قواعد وأصول وأساليب في التفسير تفيد المفسر وتعينه - إذا أتقنها وأخذ بها - على فهم الآيات القرآنية، وهي تمنح المتضلع منها أفقاً واسعاً في تنزيل الآيات على مشكلات عصره المتنوعة: اجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية، وتسهل عليه معالجتها وإيجاد الحلول لها في ضوء القرآن الكريم، وسأعرض هنا نموذجين لهذه القواعد والأساليب:

النموذج الأول: التفسير بالمثال، وهذا الأسلوب في تفسير القرآن جاء كثيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ودلالته على تجدد معاني القرآن ظاهرة، فالمفسر حين يفسر الآية بذكر مثال يحتمله معنى الآية هو في الواقع يلفت نظر السامع إلى أن هناك أمثلة أخرى يمكن دخولها في معنى الآية.

ومن أمثله عن النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ع يقول وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠): "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي"^٥.

فالنبي صلى الله عليه وسلم مثل هنا بالرمي كأكمل أنواع القوة، ولم يرد حصر معنى الآية في الرمي فقط، ولذا كان تفسير النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التمثيل، قال ابن جرير (ت ٣١٠): "فإن قال قائل: فإن رسول الله

^١ التفسير القيم لابن قيم الجوزية، ص ٤١.

^٢ فضائل القرآن لأبي عبيد، ٢٧٦/١.

^٣ انظر: جمهرة اللغة لابن دريد ٣٥/٢، ١٠، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٠٥٦/١.

^٤ فضائل القرآن لأبي عبيد، ٢٧٦/١.

^٥ أخرجه مسلم في صحيحه، ٣/١٥٢٢ برقم، ١٩١٧.

ﷺ قد بيّن أن ذلك مرادٌ به الخصوص بقوله: "ألا إن القوة الرمي" قيل له: إن الخبر، وإن كان قد جاء بذلك، فليس في الخبر ما يدل على أنه مرادٌ بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: "ألا إن القوة الرمي"، ولم يقل: دون غيرها^١، ولذلك يرى ابن جرير عموم الآية لأنواع القوة التي يتقوى بها المجاهدون، وأكد ذلك بقوله: "إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين؛ من السلاح والرمي، وغير ذلك، ورباط الخيل، ولا وجه لأن يقال: عُني بـ"القوة"، معنى دون معنى من معاني "القوة"، وقد عمَّ الله الأمر بها"^٢.

ومن الدلالات البلاغية في هذا التفسير النبوي أن النبي (ﷺ) أطلق الرمي ليشمل كل ما يرمى به العدو من سهم، أو قذيفة منحنيق، أو طيارة، أو بندقية، أو مدفع، وغير ذلك، وإن لم يكن كل هذا معروفاً في عصره ع، فإن اللفظ يشمله والمراد منه يقتضيه، ولو كان قيده بالسهام المعروفة في ذلك العصر فكيف وهو لم يقيده؟!، وما يدرينا لعل الله تعالى أجراه على لسان رسوله مطلقاً، ليدل على العموم لأُمَّته في كل عصر بحسب ما يرمى به فيه^٣.

وكم من المخترعات الحديثة للرمي مما ذُكر بعضه ومما لم يذكر يدخل في منصوص الآية الآمرة بإعداد القوة في الجهاد؟!.

وأما أمثلة التفسير بالمثل عن السلف فكثيرة جداً، قال ابن تيمية (ت ۷۲۸): "وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير: تارة لتنوع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى وأقسامه كالتمثيلات، هما الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظن أنه مختلف"^٤.

ومن أمثلته: قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ۸)، قيل في النعيم: هو الأمن والصحة، وقيل: تخفيف الشرائع، وقيل: الإدراك بحواس السمع والبصر، وقيل: الماء البارد^٥.

^١ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ۲۴۹/۱۱.

^٢ المصدر السابق.

^٣ تفسير المنار، ۷۰/۱۰.

^٤ مقدمة في أصول التفسير ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية، ۳۴۰/۱۳.

^٥ انظر جامع البيان، ۶۰۲/۲۴، والدر المنثور، ۳۸۸/۶.

وهذه الأنواع ذكرها السلف على سبيل التمثيل لا الحصر والحد المطابق، ولنا أن نخذو حذوهم فندخل في مدلول الآية أنواعاً عديدة من النعيم مما جدَّ بعدهم إلى عصرنا، وتكون داخله في النعيم الذي يسأل عنه العبد يوم القيامة.

النموذج الثاني: قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والعمل بمقتضى هذه القاعدة مهم في فهم كلام الله، وإعطاء المفسر مساحة أوسع لفهم الخطاب القرآني، وسأضرب لذلك مثلاً يوضح المقصود: فقد ورد في سبب نزول قول الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥)، أنه عندما التقى المسلمون مع الروم في إحدى المعارك حمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! يلقي يديه إلى التهلكة! فقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فقال: "أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر نصره، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ع: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر نصره، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم (ﷺ) يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو".^١

ولتطبيق قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على هذه الآية احتمالات ثلاثة:

١ - أن تكون الآية خاصة بمن نزلت فيهم من الصحابة بأعيانهم، فيكون المقصود بها فقط من قال سراً: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر نصره، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، وهذا الاحتمال لا يمكن أن يقول به عاقل، وما يرد في عبارات السلف أن آية كذا نزلت في فلان ونحوه لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل

^١ أخرجه أبو داود في سننه، ١٢/٣ برقم، ٢٥١٢، والترمذي في سننه، ١٦٤/٨ برقم، ٢٩٧٦، وهذا لفظه، وقال: "هذا حديث حسن غريب صحيح"، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، ٢٩٩/٦ برقم، ١١٠٢٩، والحاكم في المستدرک، ٢٧٥/٢ وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وانظر العجاب في بيان الأسباب لابن حجر، ص ٢٩٠.

على الإطلاق^١، لأن فيه تعطيلاً كاملاً للنص القرآني وتفريغاً من مضمونه، فيصبح نصاً تاريخياً لا يمكن الاستفادة منه.

٢ - أن نقول بمدلول الآية فقط في الحالة التي نزلت الآية بسببها، وهي ترك النفقة في سبيل الله، فلا نستدل بالآية إلا فيمن ترك النفقة في سبيل الله، سواء في عصر نزول القرآن أو بعده إلى قيام الساعة، ويكون هو الملقى بيده إلى التهلكة دون غيره، وهذا قال به من يقول: إن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ.

٣ - النظر إلى عموم اللفظ، ويكون مدلول الآية: النهي عن إلقاء النفس إلى التهلكة بأي سبب كان، سواء بترك النفقة في سبيل الله المؤدي إلى القعود عن الجهاد وتسلب الأعداء، أو بأي أمر آخر يؤدي بالمرء إلى الهلاك، وهذا مذهب جمهور العلماء، وبالأخذ بهذا الاحتمال يمكن الاستدلال بالآية بصورة مباشرة على صور كثيرة يلقي الإنسان بيده إلى التهلكة، ومنها صور عصرية، مثل: استدلال بعض العلماء بالآية على تحريم أكل المخدرات وشرب الدخان ولعب الألعاب الخطرة، وعليه تكون هذه الأشياء وغيرها داخلة في منصوص الآية.

وبهذه الاحتمالات يتضح التفاوت الكبير بينها في فهم كلام الله، فبينما يضيق فهم الآية في الحالة الأولى إلى درجة تعطيل الخطاب القرآني، يتسع فهم المفسر للآية في الحالة الثالثة فيستطيع معالجة قضايا ومشكلات كثيرة في عصره يصعب حصرها.

وهذه القاعدة الأصولية في فهم الخطاب القرآني يندرج تحتها آيات كثيرة نزلت في أسباب خاصة لكن دلالتها عامة، وقد أدرك المفسرون هذه الحقيقة، يقول ابن العربي رحمه الله (ت ٥٤٣): "قد آن أن نكشف لكم نكتة أصولية وقعت تفاريق في أقوال العلماء تلففتها جملة من فك شديد؛ وذلك أنا نقول مهما قلنا: إن اللفظ الوارد على سبب، هل يقصر عليه أم لا؟، فإننا لا نخرج السبب عنه، بل نقره فيه، ونعطف به عليه، ولا نمتنع أن يضاف غيره إليه إذا احتمله اللفظ، أو قام عليه الدليل"^٢.

وتمت أساليب وقواعد تفسيرية إذا أحسن المفسر فهمها والتعامل معها فإنه سيفيد منها، وستفتح له آفاقاً رحبة في فهم الخطاب القرآني واستنباط المعاني، وستقوى لديه ملكة الاجتهاد وإدراك

^١ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى، ٣٣٩/١٣.

^٢ ابن العربي، أحكام القرآن، ٧٤٨/٢.

مآلات الخطاب القرآني ومقاصده، ومن تلك الأساليب والقواعد: اختلاف التنوع وأثره في كثرة معاني الآية، ورجوع كثير من اختلافات السلف في التفسير إلى هذا اللون من الاختلاف، ومنها قاعدة: دلالة اختلاف القراءات على كثرة معاني الآية، ووجوب حمل لفظ الآية على أوجه متعددة إذا احتملها^١.

خامساً: وما يدل على تجدد معاني القرآن الكريم أن الله تعالى تحدى الناس أن يأتيوا بمثل القرآن، ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)، وقد أفاض العلماء في تحديد الوجه المعجز من القرآن الكريم، ومن الأوجه القوية في إعجاز القرآن: أنه تضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة، فالقرآن في جانب إعجازه اللفظي يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في كلامهم، وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم حقيق أن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر مما تحتمله الألفاظ، في أقل ما يمكن من المقدار^٢. وبالجملة فالإيجاز في القرآن: البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، وإظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير^٣.

وبعد... فإن الاجتهاد في تفسير القرآن لا يعني بالضرورة استنباط معاني جديدة دائماً، فقد يكون كذلك، وقد يكون بتقرير قول والاحتجاج له، أو ترجيحه على آخر، وقد يكون بالجمع بين أقوال المفسرين والتأليف بينها، أو تقريب فهم آية من القرآن إلى الأذهان، ونحو ذلك.

المبحث الثاني: ضرورة ضبط الاجتهاد في فهم القرآن الكريم

بينت الشريعة الإسلامية ضروريات الدين، ووضعت الأصول والقواعد التي تُبنى عليها الأحكام وفهم النصوص، ثم أباحت الاجتهاد بعد ذلك، فتركت للعلماء ممن تتوفر فيهم أدوات الاجتهاد بيان ما لم يأت بيانه في النصوص، وأباحت لهم الاجتهاد في فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام منها ضمن أصول وقواعد معروفة، وجاء أمر الناس بالرجوع إلى أهل الاجتهاد فيما أشكل عليهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣).

^١ انظر تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي العبيد، ص ١٢٣.

^٢ التحرير والتنوير، ١/ ٩٣.

^٣ النكت في إعجاز القرآن للرباعي ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٨٠.

وإباحة الاجتهاد في الشريعة الإسلامية سر من أسرار بقائها وصلاحيتها لكل زمان ومكان، ذلك أن حياة الناس على مر العصور واختلاف الأقطار لا تنفك عن حوادث تقع أو معاملات تستجد في مختلف المجالات: اجتماعية وتربوية واقتصادية... وهذه تحتاج إلى من يفهمها بصورة سليمة، ثم يفهم نصوص الوحيين: الكتاب والسنة فهماً سليماً كي يتمكن من بيان أحكام مستجدات عصره وتنزيل النصوص عليها.

والأصل في جواز الاجتهاد حديث معاذ بن جبل س أن رسول الله ع لما أراد بعثه إلى اليمن قال له: " كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟". قال: أقضي بكتاب الله، قال: "فإن لم تجد في كتاب الله"، قال: فبسنة رسول الله ع. قال: "فإن لم تجد في سنة رسول الله، ولا في كتاب الله"، قال: اجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ع صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله"^١. والاجتهاد في فهم القرآن الكريم واستنباط معانيه ليس بمعزل عن الاجتهاد بصورة عامة، وثمة أمور تستدعي ضرورة ضبط الاجتهاد في فهم القرآن وتفسيره، ومنها:

أولاً: ورع السلف وحذرهم عند إعمال الرأي في تفسير القرآن وبيانه، ومن ذلك:

ما جاء عن أبي بكر الصديق س أنه سئل عن تفسير الكلاله، فقال: "إني قد رأيت في الكلاله رأياً، فإن يكن صواباً فمن الله وحده لا شريك له، وإن يكن خطأً فمني والشيطان، والله منه بريء، وإن الكلاله ما خلا الولد والوالد"^٢.

وعن ابن المسيب (ت ٩٣): أن عمر كتب في الجلد والكلاله كتاباً، فمكث يستخير الله، يقول: "اللهم إن علمت فيه خيراً فأمضه، حتى إذا طعن دعا بالكتاب فمحي، فلم يدر أحد ما كتب فيه، فقال: إني كتبت في الجلد والكلاله كتاباً وكنت أستخير الله فيه، فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه"^٣.

^١ رواه أبو داود في سننه، ٣٠٣/٣ برقم، ٣٥٩٢، والترمذي في سننه، ٨/٥ برقم، ١٣٢٧، وأحمد في المسند، ٢٢٦/٥ برقم، ٢٢٤١١.

^٢ جامع البيان، ٤٧٥/٦، وانظر: سنن الدارمي، ٨٢٢/٢، ومصنف ابن أبي شيبة، ٤١٥/١١، ٤١٦.

^٣ مصنف عبد الرزاق، ٣٠١/١٠، ومصنف ابن أبي شيبة، ٣٢٠/١١، وجامع البيان، ٧٢٠/٧.

وهذا الأثران مع دلالتهما على جواز الاجتهاد في فهم القرآن إلا أنهما يؤكدان ضرورة الحذر عند تفسير القرآن الكريم وفهم آياته، بدليل أن أبا بكر س اتصل وقدم بتلك المقدمة حذراً من الخطأ في فهم الكلالة، ومكث عمر س يستخير الله في بيان معناها للناس، ثم ترك الكلام فيها، وإذا كان هذا الموقف من إمامي الاجتهاد في عصرهما فكيف بمن بعدهم؟!.

وقد جاءت الروايات والآثار عن السلف تؤكد ذلك، وأن الاجتهاد في التفسير والخطأ فيه ليس كالخطأ في غيره، مثل قول عبيد الله بن عمر رحمه الله (ت ١٤٧): "لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول في التفسير"^١. وقول الشعبي رحمه الله (ت ١٠٥): "أدركت أصحاب عبد الله وأصحاب علي، وليس هم لشيء من العلم أكره منهم لتفسير القرآن"^٢. وقول إبراهيم النخعي رحمه الله (ت ٩٥): "كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه"^٣.

فهذه الآثار وغيرها كثير تدل على خطورة الاجتهاد في تفسير القرآن، وهي تدل على حرص السلف وورعهم وانضباطهم في مجال الاجتهاد في تفسير القرآن، وأنهم لم يكونوا مسارعين في بيان معاني بعض الآيات، وهي تؤكد وجوب ضبط الاجتهاد، ووضع الضوابط والقواعد لمن أراد تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد، ولعلماء التفسير وغيرهم جهود مشكورة في ذلك، وقد أفردوا فيها مصنفات، مثل: كتب أصول التفسير.

ثانياً: تجدد الدعوات التي تنادي بالتجديد في فهم القرآن الكريم، وهذه الدعوات منها ما هو نابع عن حسن نية، ممثلاً أمر القرآن الكريم وحثه على تدبر القرآن الكريم، ومنها ما هو متأثر بدعوات التجديد والتطوير والقراءة المعاصرة للقرآن الكريم، وقد يقف خلف هذه الدعوات بعض المعرضين والمستشرقين.

ثالثاً: أن كثيراً من آيات القرآن الكريم تحتمل وجوهاً متعددة في معانيها، وقد ينزع بعض الناس إلى معنى باطل، ومن ثم تظهر الحاجة لضبط الاجتهاد في فهم القرآن لتمييز المعنى الباطل من المعنى الصحيح، وقد نبه علي بن أبي طالب س إلى ذلك عندما قال له ابن عباس - وقد بعثه عليّ لمجادلة الخوارج - يا أمير المؤمنين أنا أعلم بكتاب الله منهم؛ في بيوتنا نزل، فقال له علي: صدقت، ولكن القرآن حملاً ذو

^١ جامع البيان، ٧٩/١.

^٢ مصنف ابن أبي شيبة، ٥١٢/١٠.

^٣ فضائل القرآن لأبي عبيد، ٢١٤/٢.

وجوه، تقول ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنن، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً، فخرج إليهم، فخاصمهم بالسنن، فلم تبق بأيديهم حجة^١.

وقال رجل لمطرف بن عبد الله بن الشخير (ت ٩٥): "لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال مطرف: والله ما زيد بالقرآن بدلاً، ولكن زيد من هو أعلم بالقرآن منا"^٢، يريد السنة.

رابعاً: اتفق العلماء على أن ثمة آيات لا يجوز الخوض فيها ولا الاجتهاد في تفسيرها، وهي ما أشار إليها ابن عباس ب حين ذكر أنواع التفسير، فقال: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"، وفي رواية عنه قال: "ومتشابه لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه سوى الله، فهو كاذب"^٣.

وضوابط الاجتهاد التي يجب على المفسر الالتزام بها في فهم الخطاب القرآني منها ما هو عام لكل من رام الاجتهاد في الشريعة، كالإمام بالسنة النبوية، ومعرفة اللغة العربية، ومواطن الإجماع ونحوها، ومنها ما هو خاص بفهم القرآن الكريم، كالقواعد والضوابط الخاصة بتفسير القرآن الكريم.

إن المطالبة بضبط الاجتهاد في فهم القرآن وتفسيره وسط بين طرفين:

الأول: من يرى أن تفسير القرآن يجب ألا يعدو ما هو مأثور^٤، وهذا القول يشبه القول بغلق باب الاجتهاد في الشريعة^٤.

والثاني: على النقيض من ذلك؛ ينادي بإطلاق العنان في فهم القرآن دون قيد أو شرط، متبعين بذلك أهوائهم وما تمليه عليهم عقائدهم، متكلفين تفسير القرآن بما وضعوه من قواعد، وقد دخل هؤلاء في الملحدن في آيات الله تعالى، كما فعل الرافضة والباطنيون، وأصحاب القراءة المعاصرة.

ومن الضوابط المهمة المتصلة بالاجتهاد في تفسير القرآن الكريم احترام آراء السلف في فهمهم القرآن الكريم، وبخاصة فيما أجمعوا عليه، فإنه حجة لا تجوز مخالفتهم فيه، ولا تحطتتهم فيما ذهبوا إليه

^١ انظر: الإتيقان في علوم القرآن، ١/١٨٥.

^٢ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ٢/١٩١.

^٣ جامع البيان، ١/٧٠.

^٤ ينظر في ذلك: إحياء علوم الدين، ١/٢٩٠، والتحرير والتنوير، ١/٣٢.

مطلقاً، ولا الإتيان بأقوال تناقض أقوالهم وتهدمها، فإن ذلك يتضمن أنهم جهلوا الحق في ذلك وضلوا عنه، واهتدى إليه المتأخرون^١.

وعلى هذا يحمل كلام من منع من مخالفة تفاسير الصحابة والتابعين كابن تيمية وغيره، ومن أقوالهم: قول ابن تيمية رحمه الله: "ومن عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل كان مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه، فالمقصود بيان طرق العلم وأدلتها، وطرق الصواب، ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ع، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والملدول جميعاً"^٢.

وقوله: "إن من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزنادقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"^٣.

وقول ابن القيم رحمه الله: "إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف"^٤.

أما استنباط معانٍ جديدة لا تتعارض مع أقوالهم، أو تنزيل الآيات على وقائع حادثة لم تكن في عصرهم، وبيان أحكامها من خلال الآيات فهذا لا بأس به، وقد سبق أنهم سلكوا هذا المنهج من خلال التفسير بالمثال، وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا.

وسنضرب لهذه القضية مثلاً من التفسير العلمي للقرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَرَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١).

^١ الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي، ص ٣٢١.

^٢ مجموع الفتاوى، ١٣/٣٦١-٣٦٢.

^٣ مجموع الفتاوى، ١٣/٢٤٣.

^٤ مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة للموصلي، ١٢٨/٢.

بينت الآية أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، وهذا الوهن يحتمل معنيين:

المعنى الأول: أن وهن بيت العنكبوت وهن حسي، فاتخاذ المشركين أولياء من دون الله يستتصرونهم ويتعززون بهم مثلهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً يقبها من الحر والبرد والآفات، والعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفاً، وقد أجمع المفسرون المتقدمون على هذا المعنى، وإليه تشير عبارات السلف، قال ابن جرير رحمه الله: "مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء؛ يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ الْعُنْكُبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كيما يُكِنَّهَا، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل^١، ومما جاء عن السلف في ذلك قول قتادة (ت١١٧): "هذا مثل ضربه الله للمشرك، إنه لن يغني عنه إلهه شيئاً من ضعفه وقلة أجزائه مثل ضعف بيت العنكبوت"^٢.

المعنى الثاني: أن وهن بيت العنكبوت وهن معنوي، والمراد وهن بيت العنكبوت من الناحية الأسرية والأخلاقية، لا المادية والإنشائية وبالمقارنة مع عالم الحشرات يعد بيت العنكبوت من أوهن البيوت من حيث الروابط الأسرية والمبادئ الأخلاقية وسيادة الخيانة والعدو والقسوة؛ فالأنثى تقتل الذكر بعد تلقيحها وتأكله، وتأكل أبناءها بعد خروجهم من البيض كما يأكل الاخوة بعضهم البعض، وضرب المثل بما فيمن اتخذ من دون الله آلهة لانقطاع الروابط والصلات بينهم وبين من يعبدونهم من دون الله تعالى^٤.

^١ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٣١.

^٢ جامع البيان، ٤٠٣/١٨-٤٠٤ باختصار.

^٣ الدر المنثور، ١٤٥/٥، وانظر جامع البيان، ٤٠٤/١٨.

^٤ ينظر في ذلك: القرآن محاولة لفهم عصري، د. مصطفى محمود، ص ٢١١-٢١٢، وحقبة أوهن البيوت، مقال فهد الأحمد في جريدة الرياض، الخميس ١٤٣٣/٩/٧، عدد، ١٦١٠٣، وتأملات في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكُبُوتِ لَوَ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، مقال في مجلة الإعجاز العلمي، العدد السابع عشر، بقلم د. صلاح رشيد.

ونحن أمام هذين المعنيين بين أمرين:

الأول: إثبات المعنى الأول، وهو الوهن الحسي، لأنه ظاهر الآية، والواقع يشهد له، فنسج بيت العنكبوت لوهنه وضعفه لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق^١، وهل يماري أحد أن نسج العنكبوت هذا يتداعى عند أدنى لمسة أو أضعف نفخة؟!!، وهذا المعنى هو الذي أدركه المفسرون قاطبة، وقالوا به فلا تجوز تحطّطهم فيه، ومع إثبات هذا الوجه فهناك وجه آخر خفي لوهن بيت العنكبوت لم يشر إليه المتقدمون ودل عليه العلم التجريبي القائم على النظر والملاحظة الدقيقة، وهو المذكور في المعنى الثاني، وعلى القول بصحة هذا المعنى فإنه لا يلزم منه رد المعنى الأول ولا نفيه، بل إنه صحيح، لكن هناك وجه آخر للوهن، وهذا الاجتهاد بهذه الصورة مع احترامه أقوال المفسرين وإجماعهم يمكن قبوله؛ إذ لا يلزم من القول به رد المعنى الأول الخفي الذي دل عليه العلم التجريبي، وإمعان النظر وطول التأمل، والمعنى الأول أظهر وأوضح.

الثاني: إثبات المعنى الثاني، وهو الوهن المعنوي، ونفي الوهن الحسي، وقد صرح بعض المناصرين للمعنى الثاني بهذا، فقال بعضهم: "إني أرى - والله أعلم - أنه من غير الراجع أن المقصود ببيت العنكبوت الذي وصفه القرآن بأنه أوهن البيوت هو شبكة العنكبوت التي يتخذها سكناً ومصيدة لفرائسه، بل لعل المقصود ببيت العنكبوت - والله أعلم - أسرة العنكبوت التي هي بحق أوهى الأسر ترابطاً وتآلفاً"^٢. وقال آخر: "يعتقد معظمنا خطأً أن شبكة العنكبوت هي بيت العنكبوت الذي يعيش ويستقر فيه"، وزاد ذلك إيضاحاً بأن "الخيوط الحريرية التي يفرزها العنكبوت، والتي يبنى منها بيته الحسي لو جمعت في سماكة الأصعب لاستطاعت حمل طائرة ضخمة بكامل ركابها"^٣.

وقد سلك من يتبنى هذا الرأي منهجاً خاطئاً في تفسير القرآن حيث رد ما أجمع عليه المفسرون، مدعيًا أن فهمهم للآية خطأ، وهذا يقتضي تضليلهم وأنهم جهلوا الحق وأجمعوا على ضلالة، ثم إن زعمه

^١ التحرير والتنوير، ٢٠/٢٥٢.

^٢ تأملات في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

^٣ مقال حقيقة أوهن البيوت.

بأن الخيوط الحريرية التي يفرزها العنكبوت، والتي يبني منها بيته الحسي لو جمعت في سماكة الإصبع^١ لاستطاعت حمل طائرة ضخمة بكامل ركائها غير سليم، فإن هذا ينطبق على كل شيء ضعيف إذا جمع مع غيره فإنه يزداد قوة، وكم سيكون عدد خيوط العنكبوت حين تجمع في سماكة الإصبع؟!، لا ريب أنه عدد كبير جداً، وهذا يذكر بقول الشاعر:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت أحادا

ولا ينقضي العجب من بعض هؤلاء حين ظنوا أنه لا يمكن إثبات التفسير العلمي لوهن بيت العنكبوت إلا برد المعنى الذي تواطأت الأمة على فهمه من لدن الصحابة إلى وقتنا، وإمعاناً في رده أسهبوا في بيان مزايا البيت الظاهري للعنكبوت ومهارتها في بنائه ونسج خيوطه..... وهي وإن فعلت ذلك وخذعنا مظهره، فسيبقى أوهن البيوت وأضعفها كسراب بقية يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ولو أنهم وقفوا عند بيان الوهن الداخلي والمعنوي لبيت العنكبوت لكان الخطب أسهل. وهناك رأي ثالث ذهب إليه بعض الباحثين وهو رد الوهن المعنوي لبيت العنكبوت بحجة أنه معنى خفي، والمتبادر إلى الذهن في بيت العنكبوت هو نسجه، وهذا ما سار عليه المفسرون من الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا^٢.

ومع قوة هذا القول وصحته في إثبات الوهن الحسي إلا أنني لستُ معه في رد المعنى الثاني مطلقاً ما دام أن لفظ البيت يحتمله، فإن البيت في اللغة يطلق ويراد به ساكنوه، فيقال: بيت آل فلان، والمراد من يسكنه، قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الذريات: ٣٦)، والآية فيها إضمار؛ أي: فما وجدنا فيها غير أهل بيت^٣؛ يوضحه أن البيت من حيث هو لا يوصف بكفر أو إسلام، وإنما الوصف لساكنيه، وفي الحديث: "ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟"، قالوا: بلى، قال: دور

^١ يذكر أصحاب التفسير العلمي أن أربعة آلاف خيط من خيوط العنكبوت تساوي سماكة شعرة واحدة من شعر الإنسان !!.

^٢ ينظر: نقد التفسير العلمي، د. أحمد الفاضل، ص ٢٩، ورد لطيف على الصحفي فهد الأحمد في فهم، أوهن البيوت، د. مساعد الطيار، منشور في موقع الدكتور.

^٣ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٦/٢١٨٧

بني النجار، ثم دور بني عبد الأشهل، ثم دور بني ساعدة، أو دور بني الحارث بن الخزرج، وفي كل دور الأنصار خير^١، قال ابن حجر: قوله: "خير دور الأنصار دار بني النجار"، أي: محلهم والمراد أهلها^٢. يضاف إلى ذلك أن القول باحتمالية الآية للوهن المعنوي يزيد في معناها، فيدل على ضعف آلهة المشركين ظاهراً وباطناً، وأنها لا تغني عن عابديها شيئاً فلا تجلب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضرراً، لا ظاهراً ولا باطناً، وهي تدل على انقطاع الصلوات والشائج بينهم، والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث: صور من الاجتهاد المنضبط في فهم الخطاب القرآني

من الحقائق المتعلقة بالقرآن الكريم أن الله تعالى أنزله تبياناً لكل شيء ﴿وَوَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)، فهو تبيان لكل شيء: "في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية حتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس"^٣، فالقرآن كتاب لا تنقضي عجائبه، مليء بالفوائد والحكم، وقد أدرك العلماء المؤهلون للاجتهاد ممن توفرت فيهم أدوات هذه الحقيقة، فأكبوا على الكتاب العزيز تلاوة وتدبراً، واجتهدوا في استنباط معانيه وفوائده، وكان من آثار هذا الاجتهاد في فهم القرآن عدم الوقوف عند المنقول في تفسير القرآن، وإنما تجاوزوا ذلك إلى التأمل والتدبر لآيات الكتاب العزيز، وقد أثمر هذا الجهد المشكور عن صور كثيرة من الاجتهاد السليم في فهم القرآن واستنباط معانيه، ومن هذه الصور:

أولاً: تنزيل الآيات القرآنية على بعض الوقائع الحادثة، وبيان أحكامها من خلال القرآن الكريم.

وهذا المنهج في تأويل القرآن الكريم جاءت السنة به، وقد سبق التمثيل له، وقد فهم الصحابة ﷺ هذا المعنى، ففسروا كثيراً من الآيات بذكر مثال أو صورة يشملها معنى الآية وحكمها، وأصبح من المقرر في أسباب النزول أن قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به أحياناً الدلالة على شمولية معنى الآية وحكمها فيمن قيلت فيه، قال ابن تيمية رحمه الله: "وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا يراد به

^١ صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب حرص الثمر، ١٣٢/٢ برقم، ١٤٨١.

^٢ فتح الباري لابن حجر، ٥٢١/١.

^٣ تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٤٧.

تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب كما تقول: عنى بهذه الآية كذا^١.

وما تقدم يفيد أن معاني الآيات والصور والأحوال التي تشملها وتدخل في مفهومها لا يمكن حصرها بعدد معين أو وقت محدد.

ومما يندرج تحت هذه الصورة ما يعرف بالتفسير العلمي للقرآن الكريم، وكلام المعاصرين من المفسرين وغيرهم ومؤلفاتهم لا تكاد تحصر، وللکلام فيه ضوابط وقواعد قررها العلماء في كتبهم^٢.
ثانياً: استنباط المعاني الجديدة التي لا تتعارض مع الأصول والقواعد الشرعية، وأصل معنى الاستنباط إنما هو للمعاني الخفية الدقيقة، قال ابن جرير: "وكل مستخرج شيئاً كان مستتراً عن أبصار العيون، أو عن معارف القلوب، فهو له مستنبط"^٣.

قال الرازي (ت ٦٠٦هـ): "وقد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين إذا ذكروا وجهاً في تفسير الآية، فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، وإلا لصارت الدقائق التي يستنبطها المتأخرون في تفسير كلام الله مردودة باطلة، وذلك لا يقوله إلا مقلد خلف"^٤.

وقال ابن عاشور مقررًا هذا الأمر: "وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله، وهل يتحقق قول علمائنا إن القرآن لا تنقضي عجائبه إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير؟، ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصراً في ورقات قليلة وهل استنباط الأحكام التشريعية من القرآن في خلال القرون الثلاثة الأولى من قرون الإسلام إلا من قبيل التفسير لآيات القرآن بما لم يسبق تفسيرها به قبل ذلك؟، وهذا الإمام الشافعي يقول: تطلبت دليلاً على حجية الإجماع فظفرت به في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١)^٥.

١ مجموع الفتاوى لابن تيمية، ١٣/٣٣٩.

٢ للاستزادة من صور تنزيل الآيات على الواقع ينظر كتاب النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، د.

قطب الريسوني، ص ١٢١-١٢٩.

٣ جامع البيان، ٧/٢٥٥.

٤ التفسير الكبير للرازي، ٣/٤٩٠.

٥ التحرير والتنوير، ١/٢٨-٢٩.

ثالثاً: من صور الاجتهاد المنضبط أن المجتهد قد يرى أن حكم الآية لا يعمل به في وقت من الأوقات لانقضاء علته، مثل ما فعل عمر س في سهم المؤلفة قلوبهم الوارد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ (التوبة: ٦٠)، فقد أوقف عمر العمل بهذا الحكم لأنه رأى أنه لا حاجة إلى تأليف قلوب المشركين والمنافقين في وقت قوة المسلمين وعزيمهم، ولم يكن هذا الاجتهاد العمري في حكم الآية عبثياً، وإنما نظر إلى العلة من تشريعه، والحكم يدور مع علته وجوداً وعدمًا، ولذلك قد يعود حكم الآية فيما لو رأى الحاكم أن مصلحة الأمة تقتضي تأليف أعداء الملة بسهم من الصدقات.

رابعاً: ذكر بعض العلماء أنه توصل لمعانٍ لم يسبق إليها في فهم القرآن الكريم، وهذا بحسب اعتقاد القائل، وقد يكون سبقه غيره، ولذلك يحتز بعض العلماء فيقول: ولم أر من ذكر ذلك، وهذه العبارة إذا صدرت ممن يملك أدوات الاجتهاد فلها وزنها وقيمتها، ولا يتجاسر على إطلاقها - حينئذٍ - إلا من كان من أهل الاستقراء لكلام العلماء، وبلا ريب فهذه العبارة إذا صحت في شقيها، وهما: المعنى، ودعوى عدم السبق إليه، فإنها تدل على علم راسخ، وقوة تدبر وطول تأمل لكتاب الله تعالى.

وهذا الكلام الصادر من بعض العلماء قد يأتي عاماً في فهم القرآن الكريم، مثل: قول شيخ الإسلام ابن تيمية عن حاله في السجن: "قد فتح الله علي في هذه المرة من معاني القرآن وأصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن".^١ ويلاحظ هنا أن ابن تيمية كان مقبلاً بكلية على قراءة القرآن وتدبره، ويؤكد ندمه على تضييع أكثر أوقاته في غير القرآن الكريم، وكان يقول: وددت أني أمضيت عمري كله في تفسير القرآن. وقد يكون خاصاً بفهم بعض الآيات واستنباط معانيها الخفية، ومن أمثله:

قول ابن عاشور: "وقد تقصيت مواقع آي القرآن فوجدته يعبر عن مشركي قريش كثيراً بكلمة هؤلاء، كقوله: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ﴾ (الزخرف: ٢٩)، ولم أر من نبه عليه من قبل".^٢

^١ العقود الدرية في مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي، ص ٢٢.

^٢ التحرير والتنوير، ٣٥٣/٧.

وقال: "و ﴿هُؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى غير مذكور في الكلام، وقد استقرت أن مصطلح القرآن أن يريد بمثله مشركي العرب، ولم أر من اهتدى للتبنيه عليه، وقد قدمته عند قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ في سورة النساء (٤١) وفي مواضع أخرى".^١

وفسر قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤): "بأن الإنسان مخلوق على حالة الفطرة الإنسانية التي فطر الله النوع ليتصف بآثارها، وهي الفطرة الإنسانية الكاملة في إدراكه إدراكاً مستقيماً مما يتأدى من المحسوسات الصادقة، أي: الموافقة لحقائق الأشياء الثابتة في نفس الأمر، بسبب سلامة ما تؤديه الحواس السليمة، وما يتلقاه العقل السليم من ذلك، ويتصرف فيه بالتحليل والتركيب المنتظمين، بحيث لو جانبته التلقينات الضالة والعوائد الذميمة، والطباع المنحرفة، والتفكير الضار، أو لو تسلطت عليه تسلطاً ما، فاستطاع دفاعها عنه بدلائل الحق والصواب، جرى في جميع شؤونه على الاستقامة، ولما صدرت منه إلا الأفعال الصالحة"، ثم عقب بقوله: "ولم يعرج المفسرون قديماً وحديثاً على تفسير التقويم بهذا المعنى العظيم، فقصروا التقويم على حسن الصورة... ولا يلائم مقصد السورة إلا أن يتأول بأن ذلك ذكر نعمة على الإنسان عكس الإنسان شكرها، فكفر بالمنعم، فرد أسفل سافلين".^٢

وترد هذه العبارة ونحوها بصورة أكبر عند ابن عاشور - رحمه الله - عند بيان المناسبات بين الآيات، مثل قوله: "عطف ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ على ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ عطف المفرد على المفرد، ولم يعرج المفسرون على بيان المناسبة لذكر حل المحصنات من المؤمنات في أثناء إباحة طعام أهل الكتاب، وإباحة تزوج نسائهم، وعندي: أنه إيماء إلى أنهن أولى بالمؤمنين من محصنات أهل الكتاب، والمقصود هو حكم المحصنات من الذين أوتوا الكتاب، فإن هذه الآية جاءت لإباحة التزوج بالكتايبات، فقله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ عطف على ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٥)، فالتقدير: والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب حل لكم".^٣

^١ التحرير والتنوير، ١٩٧/٢٥.

^٢ التحرير والتنوير، ٤٢٥/٣٠-٤٢٦، وانظر مواطن أخرى في نفس الكتاب، ٦٨/٥، ١٣٢/١٨، ٦١/٢٣، ٣٢٩/٢٦.

^٣ التحرير والتنوير، ١٢٣/٦، وانظر مواطن أخرى في: ، ٢١٢/١٠، ٢١٣/٣٠، ٣٢٦، ٣٥١.

وفي ذات الوقت يستعمل بعض العلماء هذه العبارة في تضعيف بعض الأقوال وبيان شذوذها، وأن القائل أتى بما لم يسبق إليه، فعند قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا عَلَآمٌ وَأَسْرُوءٌ بِضَاعَةٌ﴾ (يوسف: ١٩)، ذكر ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤) أن قوله: ﴿يَا بُشْرَى﴾ قرئ هكذا على وزن فُعْلَى^١، قال: "زعم السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوهُ؛ معلماً له أنه أصاب غلاماً، وهذا القول من السدي غريب؛ لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس، والله أعلم. وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى، ويكون قد أضاف البشرى إلى نفسه، وحذف ياء الإضافة وهو يريدُها"^٢.

خاتمة

- ثبت بالدليل القطعي ختم الكتب السماوية بالقرآن الكريم، وكونه حجة الله على خلقه إلى قيام الساعة، فلا بد إذن من وفاء القرآن الكريم بحاجات الناس ومعالجة مشكلاتهم المختلفة إلى قيام الساعة، ولا يتأتى ذلك إلا بفهم القرآن وتنزيل آياته عليها.
- باب الاجتهاد في فهم القرآن الكريم مفتوح لمن كان أهلاً للاجتهاد وتوفرت فيه أدواته، فلا يزال القرآن مجالاً رحباً واسعاً، لا تنقضي عجائبه لمن تدبره وأقبل عليه، واستلهم من هديه وتفهم معانيه.
- صور الاجتهاد في فهم الخطاب القرآني تفوق الحصر والعد، من مثل: الترجيح بين أقوال المفسرين، أو الجمع بينها، واستنباط معانٍ جديدة، وتنزيل الآيات على كثير من القضايا الحادثة، ومعالجة مشكلات الناس الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية بمهدي من الكتاب العزيز.
- ضرورة ضبط الاجتهاد في فهم القرآن الكريم، ولا يكون ذلك إلا بالتقيد بقواعد التفسير وضوابطه التي قررها العلماء، وألا يكون الاجتهاد في بيان القرآن إلا ممن توفرت فيه أدوات الاجتهاد.
- أهمية تدبر القرآن الكريم إذ هو المفتاح لفهم القرآن واستنباط معانيه.

^١ وهي قراءة الكوفيين، عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بألف بعد الراء وفتح الياء، يا بُشْرَى، انظر

التيسير للداني، ص ١٢٨ .

^٢ تفسير ابن كثير، ٤/٣٠٤.

- برز عدد من المفسرين في فهم القرآن وتفسيره، وكان لهم أثر بارز في استنباط معاني القرآن الكريم لما لهم من قدم راسخة في الاجتهاد وفهم النصوص، وقد أخذت أقوالهم مأخذ الاعتبار وكان لها وزنها بين أهل العلم، حتى صرح بعضهم بأنه لم يسبق إلى المعاني التي استنبطها، وقد مر ذكر نماذج منها.
 - يجب التحذير من المناهج المنحرفة في فهم القرآن ومحاربتها؛ تلك المناهج التي أطلقت لنفسها العنان في فهم القرآن وتفسيره، وتطويع آياته لأهوائها متجردة من التزام قواعد التفسير وضوابطه، فأفرزت أقوالاً منكرة شاذة في معاني القرآن، وتأولته على غير تأويله.
 - من المهم عند تناول اجتهادات العلماء في فهم الخطاب القرآني: أفراد دراسات خاصة تتناول ما يذكره العلماء والمفسرون من توصلهم لمعانٍ لم يُسبقوا إليها في فهم القرآن الكريم، ودراسة أقوالهم وآرائهم في ذلك، وهل فعلاً لم يُسبقوا إلى ما ذكره؟، وهذه الدراسات ستمنحنا - قطعاً - المعرفة بمكانة هؤلاء العلماء في فن التفسير، ومدى استقراءهم لأقوال من سبقهم، ومن هم المفسرون المكثرون من هذه العبارة؟، ونحو ذلك.
- والله ولي التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

المصادر والمراجع:

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إسماعيل. (١٩٧٩م). الجامع الصحيح. تركيا: المكتبة الإسلامية.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي، تحقيق: عزت عبيد الدعاس. تركيا: المكتبة الإسلامية، د.ط.
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم. (١٤١٦هـ). مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. (١٣٣٥هـ). المستدرک على الصحيحين. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. (٢٠٠٢م). العجائب في بيان الأسباب، تحقيق: فواز زمري. بيروت: دار ابن حزم.

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب. القاهرة: الطبعة السلفية، د.ط.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. (١٩٨٣م). فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله عباس. مكة: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. (١٣١٣هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. تونس: دار سحنون، مصورة عن الطبعة الميمنية بمصر، الطبعة الثانية.
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. (١٤١٧هـ). سنن الدارمي، تحقيق: مصطفى ديب البغا. دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. (١٩٨٥م). التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتوبرتل. بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. (١٩٨٧م). جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر البكري. (١٩٩٩م). التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
- الريسوني، قطب. (٢٠١٠م). النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر. المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- زغلول، محمد. (١٩٧٦م). ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله. مصر: دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي. سنن أبي داود، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. تركيا: المكتبة الإسلامية، د.ط.
- ابن سعدي، عبدالرحمن بن ناصر. (٢٠٢٠م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم. (١٩٩٥م). فضائل القرآن ومعلمه وآدابه، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي. المغرب: وزارة الأوقاف.

السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٣٩٨هـ). الإتيان في علوم القرآن. مصر: مطبعة الحلبي، الطبعة الرابعة.

السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٣١٤هـ). الدر المشور في التفسير بالمأثور. مصر: المطبعة الميمنية، بيروت: دار المعرفة.

شريف، محمد إبراهيم. (٢٠٠٨م). اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم. القاهرة: دار السلام.
ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد. (١٩٧٩م). المصنف، تحقيق: مختار الندوي. بومباي: الدار السلفية، الطبعة الثانية.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام. (١٩٧٠م). المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (٢٠٠١م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي. القاهرة: دار هجر.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف الأندلسي. جامع بيان العلم وفضله. مصر: إدارة الطباعة المنيرية، د.ط.
ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد الحلبي. (١٤٠٥هـ). الصارم المنكي. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد الحلبي. العقود الدرية في مناقب ابن تيمية. مصر: مطبعة المدني، د.ط.
العبيد، علي سليمان. (٢٠١٠م). تفسير القرآن أصوله وضوابطه. الرياض: مكتبة التوبة، الطبعة الثانية.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. (١٩٧٢م). أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد الجاوي. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة. مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ط.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد الرازي. (١٤٢٢هـ). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الفاضل، أحمد محمد. نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم. دمشق: مركز الناقد الثقافي، د.ط.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الشعب، د.ط.
القسيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. تركيا: المكتبة الإسلامية، د.ط.

قطب، سيد قطب إبراهيم. (١٩٧٢م). في ظلال القرآن. مصر: دار الشروق.
ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. التفسير القيم، تحقيق: محمد الفقي. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، اختصار الموصلي.
الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ط.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد العزيز غنيم وآخرين. القاهرة:
دار الشعب، د.ط.

محمود، مصطفى. القرآن محاولة لفهم عصري. مصر: دار المعارف، د.ط.
النسائي، أحمد بن شعيب. (١٤١١هـ). السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلمية.

مقالات:

الأحمدي، فهد عامر. (١٤٣٣/٩/٧هـ). حقيقة أو هن البيوت. مقال في جريدة الرياض، عدد (١٦١٠٣).

رشيد، صلاح. (١٤٢٤/١٢هـ). تأملات في تفسير معنى قوله تعالى: "وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ". مقال في مجلة الإعجاز العلمي (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي)، ١٧٤.

الطيار، مساعد بن سليمان. رد لطيف على الصحفي فهد الأحدي في فهم (أوهن البيوت).